"التطوع قيمة اجتماعية أصيلة راسخة في المجتمع العماني"

تقديم : الدكتور محسن بن ناصر السالمي
أستاذ مساعد بكلية التربية بجامعة السلطان قابوس

مقدمة:

المتتبع للتاريخ الإنساني يجد أن التطوع مرتبط بحياة الإنسان منذ أن أوجده الله تعالى على هذه البسيطة، فهو أمر ملازم لحياته في مجالاتها المختلفة، ويتحقق بأساليب متنوعة، وفي ظروف مختلفة، وهو متباين في درجات ظهوره بين شدة وفتور، ويحدث بشكل عفوي أو نظامي.

والتطوع تحركه دوافع متعددة؛ منها: الإنسانية (الفطرية)، والدينية، والاجتماعية، والمصلحة الذاتية، وقد قصد بهذا الترتيب بيان اتساع مجال التطوع وضيقه، فهو في تصوري يضيق كلما ضاق مصدر الدافع؛ وهذا يعني أن مجال التطوع من منطلق فطري هو أوسعها؛ إذ ليست هناك غاية من التطوع سوى تحقيق المصلحة للإنسان، وتقديم الخير له، وهذه الدوافع لا تحدها حواجز جغرافية، ولا ترتبط بدوافع شخصية، فهو تطوع عابر للقارات، متجاوز لموجهات المعتقدات والعادات، والحروب والخلافات، يشترك في تقديمه جميع البشر، كما ينتفع منه جميعهم، وهناك صور من الواقع المعيش تدل على ذلك، فكم من دولة أو شعب تقبل المساعدة –في ظروف صعبة ناتجة عن عوامل بيئية أو اقتصادية أو اجتماعية– من دولة أخرى أو شعب آخر بينهما خلاف أو نزاع.

ولا يقصد بالدوافع الدينية دين بعينه، وإنما كل المعتقدات والتصورات، سواء أكانت على حق أم على باطل، لذلك فإن هذه الدوافع قد توجه التطوع لتحقيق أغراض دينية معينة غير معلنة، فتستغل حاجة الناس، ومعاناتهم، فتقدم لهم الخدمات بغرض إغرائهم واستدراجهم لتحقيق مآرب معينة.

أما التطوع في الإسلام فليس له غاية إلا وجه الله تعالى، فالمسلم يتقرب إلى الله تعالى بصنوف الطاعات والنوافل، وهي أمور غير واجبة عليه، ولا هو ملزم بها، وإنما هي تدخل في نطاق المستحب، والمندوب، والنفل، يفعلها العبد بغية نيل مرضاة الله تعالى، وتحقيقا للغاية

العظمى من خلق الإنسان، وهي عبادة الله عز وجل، يقول سبحانه "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (الذاريات: ٥٦).

وتتجلى مشروعية التطوع في الإسلام في كثير من الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، يقول الله تعالى: "لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا" (النساء:١١٤). بمعنى أنه لا خير في كثير من كلام الناس وأحاديثهم ومحاوراتهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، وهذا كله عمل بدني (القاضي،٢٠١١) فنفع هذه الأمور متعد إلى الآخرين. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ" (البخاري، باب من أخذ بالركاب ونحوه، رقم الحديث:٢٧٦٧). ويستفاد من هذا الحديث الشريف أن صور التطوع كثيرة ومتعددة، فهو باب واسع سهل الولوج، كما يستفاد منه أن القيام بالأعمال التطوعية أمر متجدد ومستمر، وليس مرة واحدة في العمر فقط، والدليل على ذلك من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: " كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ.."